ولعله يصح ان نعتبر ان ما يقوله الشاعر نزار قباني يقع في هذا الاتجاه حين يقرر « ان اهمية شعراء المقاومة تنبع من كونهم تحولوا في أذهاننا الى رموز . وعلى هذا الاساس نفهمهم ونرحب بهم كمحاربين دون ان نتدخل في تفاصيل ملابسهم وطراز بنادقهم وعدد الازرار في معاطفهم العسكرية . ما دام شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة يطلقون الرصاص في صفوفنا فاننا نرحب برصاصهم ... أما بقية التفاصيل الجمالية والفنية فليس هذا وقتها ... »(٩). ويقع في الاتجاه نفسه قول ادوار البستاني ، « فنحن ميالون — عندما نعالج فعالية أدب المقاومة في فلسطين المحتلة — الى ان نتخطى القواعد الجمالية الشكلية وأن نضحي ببعض متارف الشعر ، لننتقل رأسا الى الطاقة الحيوية والثورية التي يمكن لهذا الادب ان يفجرها في بيئته الضيقة أولا ، ومن ثم في الضمير الانساني على النطاق الاوسع »(١٠).

ويتوجب علينا ان نسجل ، ان فريقا آخر من النقاد اهتم بالناحية الفنية لشعر المقاومة وحاول ابرازها ، كما نلاحظ من الاستفتاء الذي أجرته مجلة « الطريق » مع بعض النقاد حول هذا الشعر ، حين طرحت السؤال : « كيف تقيمون الدور الوطني والاجتماعي والجمالي الذي أداه شعر المقاومة في فلسطين المحتلة ؟ »(١١). ولعل النظرة الاقرب الى الصواب هي تلك التي جعلت قيمة هذا الشعر الفنية توأما للتجربة النضالية التي ولدته؛ فلا يعود هناك فاصل بين حدس وتعبير . ومن ذلك قول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مخاطبا محمود درويش : « فأنت شاعر مجيد لانك شاعر مناضل . هذه هي فرسك كما عودتها . لن يستجيب لك الشعر الا وأنت على تلك الفرس الخطرة . وانت تسلحت بنظرية ثورية ، وتربيت في حزب ، وسوف ينتظر الناس وننتظر نحن أيضا ، في أي شيء تختلف تجربتك أنت — وقد صرت وحدك — عن تجارب الذين لا يملكون هذا التراث »(١٢).

هذا الحديث يطرح قضية الالتزام ، حيث يصبح الشعر والنضال وجهين لحقيقة واحدة ، ولا يكون هناك شعر الا بالتجربة النضالية التي ولدته. وهنا يكون الالتزام فرسا خطرة، لان على الشاعر أن لا يستسلم للفرس الهائجة تقذفه كما تشاء فيقع . بل عليه ان يروض هذه الفرس ، وأن يكون هو المسيطر عليها ، فينطلق بها كيفما أراد . لذا فالالتزام الصحيح ليس انسياقا مع عقيدة تفرض على الشاعر ، بل هو فعل حرية ؛ بمعنى ان الشاعر يعود بنفسه فيكتشف العقيدة التي تصبح جزءا من ذاته لا سلاسل خارجية تقيده .

من هنا نجد اجابة على السؤال : هل محمود درويش مناضل أم شاعر ؟ حيث لا يعود هناك مجال لفصل بين الشعر والنضال . ومن هنا يكتسب خروج محمود درويش من الارض المحتلة خطورته ، اذ أن التجربة النضالية هي التي خلقت الشاعر الملتزم . وقد وعى محمود درويش هذه الحقيقة فقال : « ومن هنا لم يعد من حقي التصرف كمسافر او سائح ، ولهذا السبب أشعر انني مطالب أمام الرأي العام بتوضيح هذا ، وسأقدم تحديدات عامة لاتابع بعدها طريقي »(١٣).

ولكن النضال لا يرتبط ببقعة جغرافية ، بل هو في الاساس موقف ، والاحتلال الصهيوني لا يختص بفلسطين فحسب ، بل هو قضية الامة العربية بأسرها ، المهددة حضاريا في وجودها واستمرارها . ويلوح لي ان خروج محمود درويش من الارض المحتلة مرتبط بايمانه بوحدة مصير هذه الامة اذ يقول : « انني أحدق في أعماق نهر النيل وأرى رحلة التاريخ الصاعدة دائما ، وأسمع خرير الاردن وبردى والفرات في نغم واحد تتدفق على الرغم من الركود المؤقت الذي لن يستمر طويلا »(١٤). لذا لا يعود خروج محمود درويش من فلسطين المحتلة هروبا بالضرورة ، بل يمكن أن يشكل تغييرا لموقع